قرآنيكا، مجلة عالمية لبحوث القرآن
عدد خاص (10)، أكتوبر 2023م. ص 56-86

© 2023 مركز بحوث القرآن
جامعة ملايا، ماليزيا

ابتلاء المرسلين والأنبياء بالذرية في القرآن الكريم: يعقوب وسليمان "عليهما السلام" أنموذجا – دراسة موضوعية [*]

مهدي قيس عبدالكريم الجنابي[1]

(The Affliction of the Messengers and Prophets with Offspring in the Holy Qur'an: Jacob and Solomon PBUH as a Model - An Objective Study)

Mahdi Kais Abdul Karim Al-Janabi

ABSTRACT

This study deals with the issue of the messengers and prophets afflicted with children in the Holy Qur'an. The researcher chose two models of the messengers and prophets ،peace be upon them ،who were afflicted with children ،namely ،the Prophet of God Jacob ،and his Prophet Solomon ،peace be upon them both. The children got rid of their brother Joseph ،peace be upon him ،out of envy ،and the Prophet of God Solomon ،peace be upon him ،was afflicted with the hardship of a son whom God gave him from his family; Because he did not make an exception by will if he circumambulated his wives ،asking for children to prepare them for jihad in the way of God ،and the study clarified the result of this trial and the position of both the Messengers ،peace be upon them ،regarding this trial ،and it became clear to the researcher through it that this trial is a cosmic law that occurred in the world for some of the good chosen ones for a divine wisdom ،which we mentioned some of in this study.

Keywords: *Affliction, Messengers, Prophets, Offspring, the Qur'an.*

---

[*] This article was submitted on: 04/06/2023 and accepted for publication on: 02/10/2023.

[1] كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة.
College of Sharia and Islamic Studies, University of Sharjah, United Arab Emirates.
Email: maljanabi@sharjah.ac.ae

ملخص

تعالج هذه الدراسة موضوع ابتلاء المرسلين والأنبياء بالأولاد في القرآن الكريم وقد اختار الباحث نموذجين من المرسلين والأنبياء "عليهم السلام" ممن ابتلوا بالأولاد ، وهما نبي الله يعقوب ، ونبيه سليمان "عليهما السلام" ، إذ ابتلي يعقوب عليه السلام بأولاده حتى ابيضت عيناه من الحزن بسبب سلوكيات بعضهم، بمحاولة الأولاد التخلص من أخيهم يوسف "عليه السلام" حسدا، وابتلي نبي الله سليمان "عليه السلام" بشق ولد رزقه الله إياه من أزواجه؛ لكونه لم يستثن بالمشيئة حال طوافه على أزواجه، طالبا الأولاد لإعدادهم للجهاد في سبيل الله، وأوضحت الدراسة نتيجة هذا الابتلاء وموقف كلا الرسولين "عليهما السلام" من هذا الابتلاء، وتبين للباحث من خلالها أن الابتلاء سنة كونية وقعت في الدنيا لبعض المصطفين الأخيار لحكم ربانية ذكرنا بعضها في هذه الدراسة.

كلمات دالَّة: الابتلاء، المرسلون، الأنبياء، الذرية، القرآن.

1. مقدمة

الحمد لله الذي خلق الموت والحياة ليبلو عباده أيهم أحسن عملا، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على رسول رب العالمين نبينا محمد الهادي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد،،،

فالابتلاء من السنن الإلهية الثابتة التي أخبر المولى جل ثناؤه أنها متحققة لكل من سار على طريق الحق والإيمان. قال تعالى: **{أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ}** [العنكبوت: 2]. ومن المعلوم أن كل من أراد أن يحمل لواء قضية عليه أن يتيقن أن نصيبه من الابتلاء كبير؛ والمؤمن صاحب قضية عظيمة، وأمانة كبيرة،

وهدف سام؛ لذا عليه أن يعلم أن الابتلاء يقع بأمر الله، ويحصل بمشيئته، وأنه سبحانه يضاعفه على أحب العباد إليه؛ ليرفع درجاتهم، ويضاعف أجرهم وحسناتهم. قال تعالى: **{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ}** [محمد:31]. قال ابن عاشور (ت: 1393هـ) "رحمه الله": " فَإِنَّ الِابْتِلَاءَ مِنْ آثَارِ الْحِكْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ لِتَرْتَاضَ بِهِ نُفُوسُ أَوْلِيَائِهِ وَتُظْهِرَ مُغَالَبَتَهَا لِلدَّوَاعِي الشَّيْطَانِيَّةِ فَتَحْمَدُ عَوَاقِبَ الْبَلْوَى، وَلِتَتَخَبَّطَ نُفُوسُ الْمُعَانِدِينَ وَيَنْزَوِي بَعْضُ شَرِّهَا زَمَانًا"[2].

والآيات القرآنية وإن جاءت لتؤكد أن الابتلاء يعم العباد جميعاً –خاصة الأنبياء والمرسلين[3] والأولياء الصالحين– إلا أنها بينت كذلك أنه ليس حكراً عليهم، وإنما هو سنة ثابتة إلى يوم الدين. قال تعالى: **{وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ}** [العنكبوت: 3]. **وقال: {فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا}** [فاطر:43].

الأنبياء "عليهم السلام" أحب الخلق الى الله تعالى، وأعلاهم منزلة وشرفاً، وأجلهم قدراً، ومع ذلك كان نصيبهم من الابتلاء عظيم؛ فمنهم من قُتل، ومنهم كُذب، ومنهم من أُخرج من دياره ظلماً وعلواً وعدواناً، ومنهم من ابتلي بفقد ابنه، أو بتكذيب أبيه

---

2 Ibn Āshūr, Muḥammad Al-Ṭāhir bin Muḥammad (1984). *Taḥrīr Al-Ma'nā Al-Sadīd wa Tanwīr Al-'Aql Al-Jadīd min Tafsīr Al-Kitāb Al-Majīd* (Vol. 18), Al-Dār Al-Tūnisiyyah li Al-Nashr, p. 48.

3 اختلف أهل العلم في مسألة الفرق بين الرسول وبين النبي على ثلاثة أقوال، القول الأول: لا فرق بين الرسول والنبي. القول الثاني: قول جمهرة من أهل العلم، وهو أن الرسول أعم من النبي، وبينهما أمر مخصوص، فكل رسول نبي ولا عكس. القول الثالث: وهو أن هناك فرق بين الرسول والنبي، لكن الرسول هو الذي أوحي إليه بشرع جديد ناسخ للشرع الذي قبله، أو لبعضه، وأمر بتبليغ هذا الشرع. أما النبي فهو الذي يأتي بعد رسول ولم يأتِ بشرع جديد. قال ابن أبي العزي الحنفي (ت: 972هـ): " وَقَدْ ذَكَرُوا فُرُوقًا بَيْنَ النَّبِيِّ وَالرَّسُولِ، وَأَحْسَنُهَا. أَنَّ مَنْ نَبَّأَهُ اللَّهُ بِخَبَرِ السَّمَاءِ، إنْ أَمَرَهُ أَنْ يُبَلِّغَ غَيْرَهُ، فَهُوَ نَبِيٌّ رَسُولٌ، وَإِنْ لَمْ يَأْمُرْهُ أَنْ يُبَلِّغَ غَيْرَهُ، فَهُوَ نَبِيٌّ وَلَيْسَ بِرَسُولٍ. فَالرَّسُولُ أَخَصُّ مِنَ النَّبِيِّ، فَكُلُّ رَسُولٍ نَبِيٌّ، وَلَيْسَ كُلُّ نَبِيٍّ رَسُولًا، وَلَكِنَّ الرِّسَالَةَ أَعَمُّ مِنْ جِهَةِ نَفْسِهَا، فَالنُّبُوَّةُ جُزْءٌ مِنَ الرِّسَالَةِ، إذِ الرِّسَالَةُ تَتَنَاوَلُ النُّبُوَّةَ وَغَيْرَهَا، بِخِلَافِ الرُّسُلِ، فَإِنَّهُمْ لَا يَتَنَاوَلُونَ الْأَنْبِيَاءَ وَغَيْرَهُمْ، بَلِ الْأَمْرُ بِالْعَكْسِ. فَالرِّسَالَةُ أَعَمُّ مِنْ جِهَةِ نَفْسِهَا، وَأَخَصُّ مِنْ جِهَةِ أَهْلِهَا".
Al-Ḥanafī, Ṣadr Al-Dīn Muḥammad bin 'Alā' Al-Dīn (1997). *Sharḥ Al-'Aqīdah Al-Ṭaḥāwiyah* (Shu'ayb Al-Arna'ūṭ, 'Abd Allāh bin Al-Muḥsin Al-Turkī. Eds.). (Vol. 1). Mu'assasah Al-Risālah, p. 155.

أو زوجته وكفرهما، إلى غير ذلك من الابتلاءات العظيمة الأخرى التي أكرمهم بها ربهم سبحانه، فصبروا على ذلك واحتملوا؛ ابتغاء مرضاته، وطمعاً بثوابه. قال تعالى: **{قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ * وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ}** [الأنعام: 33-34].

وسنتناول في هذا البحث جانبا مهما من جوانب ابتلاء الأنبياء "عليهم السلام" وهو ابتلاؤهم بذريتهم، ونظراً لتعذر جمع هذا النوع من الابتلاء في بحث واحد؛ بسبب تقييد المجلات العلمية الباحثين بعدد محدد من الصفحات، فقد اخترنا ابتلاء يعقوب وسليمان "عليهما السلام" أنموذجاً.

وتكمن أهمية هذا البحث في كونه يُمكن الدارسين من فهم معاني القرآن الكريم وموضوعاته فهماً صحيحاً وذلك بالاطلاع على منهج القرآن في ذكر موضوع ابتلاء الأنبياء بالذرية من خلال دراسة نموذجين من قصصهم وهما نبي الله يعقوب ونبيه سليمان "عليهما السلام".

وأما الباعث على اختيار هذا البحث فهو المكانة العالية للأنبياء والمرسلين "عليهم السلام" التي تزيد من وعي دارسي التفسير لموضوع يتعلق بالابتلاء لنخبة من البشر أصحاب مكانة سامقة بأولادهم وهو موضوع يتعلق بالتفسير الموضوعي في بحث أجدُ أن فيه فائدة كبيرة للباحثين في هذا المجال؛ وأنه سيفتح آفاقاً جديدة في مجال الدراسات القرآنية.

وموضوع الابتلاء في القرآن الكريم من الموضوعات المهمة التي نالت حظاً وافراً من البحث والدراسة، إلا إنني لم أجد –فيما تسنى لي على قدر الوسع والطاقة– أن هناك من أفرد الابتلاء في بيت نبي الله يعقوب ونبيه سليمان "عليهما السلام" بالذرية وإن تحدثت عنه كتب التفسير والقصص القرآني بشكل عام فأحببت أن يكون لي شرف السبق في دراسة خاصة بذلك.

ويهدف البحث إلى أمور مهمة منها:

1- التعريف بمفهوم الابتلاء لغة واصطلاحاً.

2- بيان إن كان الابتلاء سنة كونية أم لا.

3- توضيح الحِكَم الإلهية من ابتلاء العباد ومنهم المرسلين والأنبياء "عليهم السلام".

4- معرفة إن كان نبي الله يعقوب وسليمان "عليهما السلام" ابتليا بذريتهما.

5- الاطلاع على نتائج ابتلاء الله تعالى ليعقوب وسليمان "عليهما السلام".

2. التعريف بالابتلاء وأنها سنة كونية لحكم ربانية

1.2 معنى الابتلاء لغة اصطلاحا

i. **الابتلاء لغة:** لفظ الابتلاء في اللغة مأخوذ من مادة (ب ل و) التي تدل على الاختبار. قال ابن فارس (ت1399هـ): " (بَلَوِيٌّ) الْبَاءُ وَاللَّامُ وَالْوَاوُ وَالْيَاءُ، أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا إِخْلَاقُ الشَّيْءِ، وَالثَّانِي نَوْعٌ مِنَ الِاخْتِبَارِ، وَيُحْمَلُ عَلَيْهِ الْإِخْبَارُ أَيْضًا. فَأَمَّا الْأَوَّلُ فَقَالَ الْخَلِيلُ: بَلِيَ يَبْلَى فَهُوَ بَالٍ. وَالْبِلَى مَصْدَرُهُ. وَإِذَا فُتِحَ فَهُوَ الْبَلَاءُ... وَيَكُونُ الْبَلَاءُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. وَاللَّهُ تَعَالَى يُبْلِي الْعَبْدَ بَلَاءً حَسَنًا وَبَلَاءً سَيِّئًا، وَهُوَ يَرْجِعُ إِلَى هَذَا ; لِأَنَّ بِذَلِكَ يُخْتَبَرُ فِي صَبْرِهِ وَشُكْرِهِ" [4] ، وقال ابن منظور (ت711هـ): "قَالَ الْقُتَيْبِيُّ: يُقَالُ مِنَ الْخَيْرِ أَبْلَيْته إِبْلاءً، وَمِنَ الشَّرِّ بَلَوْته أَبْلُوه بَلاءً، قَالَ: وَالْمَعْرُوفُ أَن الِابْتِلَاءَ يَكُونُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ مَعًا مِنْ غَيْرِ فَرْقٍ بَيْنَ فِعْلَيْهِمَا؛ ومنه قوله تعالى: {**وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً**} هذا ما ذهب إليه ابن منظور أيضا بقوله: " يقال من الخير أَبْلَيْته إِبْلاء ومن الشر بَلَوْته

---

4 Ibn Fāris, Abū Al-Ḥusayn Aḥmad bin Fāris (n.d.). *Mu'jam Maqāyīs Al-Lughah* ('Abd al-Salām Muḥammad Hārūn, Ed.). (Vol. 1). Dār Al-Fikr, pp. 292-293.

أَبْلُوه بَلاء ، قال : والمعروف أَن الابتلاء يكون في الخير والشر معاً من غير فرق بين فعليهما "[5]، وكذلك موقف أبي البقاء الكفوي(ت1094هـ) إذ يقول:" الابتلاء في الأصل التكليف بالأمر الشاق من البلاء ، ... والابتلاء يكون في الخير والشر معا يقال في الخير أبليته وفي الشر بلوته بلاء الأبطال "[6]، وأما أبو هلال العسكري(ت395هـ) فقد ذكر فروقا دقيقة بين الابتلاء والاختبار: "أَن الِابْتِلَاء لَا يكون إِلَّا بتحميل المكاره والمشاق والاختبار يكون بذلك وبفعل المحبوب أَلا ترى أَنه يُقَال اختبره بالإنعام عَلَيْهِ وَلَا يُقَال ابتلاه بذلك وَلَا هُوَ مبتلى بِالنعْمَةِ كَمَا قد يُقَال أَنه مختبر بهَا وَيجوز أَن يُقَال إِن الِابْتِلَاء يَقْتَضِي اسْتِخْرَاج مَا عِنْد الْمُبْتَلى من الطَّاعَة وَالْمَعْصِيَة والاختبار وُقُوع الْخَبَر بِحَالَة فِي ذَلِك..."[7].

وإلى ذلك ذهب الطبري(ت310هـ) "رحمه الله" بقوله: "وقد يكون الابتلاء والاختبار بالرخاء، ويكون بالشدّة، ولم يضع لنا دليلا من خبر ولا عقل، أنه عنى بعض ذلك دون بعض"[8]، وكذلك محمد المري بقوله: " الابتلاء والاختبار بمعنى واحد "[9].

وأرى أن ما ذهب إليه أبو هلال أدق من قول من ذهب إلى أن الابتلاء والاختبار لفظان متقاربان، وأنّ الابتلاء يقتضي استخراج ما عند المبتلى من الطاعة والمعصية،

---

5 Ibn Manẓūr, Abū Al-Faḍl Muḥammad bin Mukarram (1993). *Lisān Al-'Arab*. (Vol. 14). Dār Ṣādir, p. 82.

6 Al-Kafawī, Abū Al-Baqā' Ayyūb bin Mūsā (1992). *Al-Kulliyyāt Mu'jam fī Al-Muṣṭalaḥāt wa Al-Furūq Al-Lughawiyyah* ('Adnān Darwīsh, Muḥammad Al-Miṣrī, Eds.). Mu'assasah Al-Risālah, p. 27.

7 Al-'Askarī, Abū Hilāl Al-Ḥasan bin 'Abd Allāh (n.d.). *Al-Furūq Al-Lughawiyyah* (Muḥammad Ibrāhīm Salīm, Ed.). Dār Al-'Ilm wa Al-Thaqāfah li Al-Nashr wa Al-Tawzī', p.216.

8 Al-Ṭabarī, Abū Ja'far Muḥammad bin Jarīr (n.d.). *Jāmi' Al-Bayān 'an Ta'wīl Āyy Al-Qur'ān*. (Vol. 22). Dār Al-Tarbiyah wa Al-Turāth, p. 38.

9 Abū Zamanīn, Abū 'Abd Allāh Muḥammad bin 'Abd Allāh (2002). *Tafsīr Al-Qur'ān Al-'Azīz* (Ḥusayn bin 'Ukāshah, Muḥammad bin Muṣṭafā Al-Kanz, Eds.). (Vol. 1). Al-Fārūq Al-Ḥadīthah, p. 413.

والاختبار يقتضي وقوع الخبر بحاله في ذلك لكن لست معه بقصره الابتلاء على تحميل المكاره والمشاق وذلك لما جاء في سورة الأنبياء من قوله تعالى: **{وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ}** [الأنبياء:35] فالابتلاء يكون بالخير والشر.

ii. **الابتلاء في الاصطلاح:**

جاء معنى الابتلاء في اصطلاح المفسرين بمعاني متقاربة تفيد اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد وذلك على النحو الآتي:

1- ذهب الفخر الرازي(ت606هـ) إلى أن الابتلاء هو التجربة والامتحان حتى يعلم من الإنسان الطاعة أو العصيان[10].

2- وقال ابن جزي (ت741هـ): " الابتلاء هو الاختبار واختبار الله لعبده لتقوم الحجة على العبد بما يبدو منه، وقد كان الله عالما بذلك قبل كونه"[11].

3- وعرفه الخازن(ت741هـ) فقال "وأصل الابتلاء الامتحان والاختبار؛ ليعرف حال الإنسان وسمي التكليف بلاء لأنه يشق على الأبدان. وقيل: ليختبر به حال الإنسان"[12].

4- وقال النيسابوري(ت850هـ): "ومعنى الابتلاء في البسط والضيق وهو أنه سبحانه يعامل المكلف معاملة المختبر ليظهر أنه هل يتلقى النعمة بالشكر والضيق بالصبر أم لا؟ كقوله: **{وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً}** [الأنبياء: 35]"[13].

---

10 Al-Rāzī, Abū ʻAbd Allāh Muḥammad bin ʻUmar (1999). *Al-Tafsīr Al-Kabīr aw Miftāḥ Al-Ghayb.* (Vol 20). Dār Iḥyā' Al-Turāth, p. 584.

11 Ibn Juzay, Abū Al-Qāsim Muḥammad bin Aḥmad (1995). *Al-Tashīl li ʻUlūm Al-Tanzīl* (ʻAbd Allāh Al-Khālidī, Ed.). (Vol. 2). Sharikah Dār Al-Arqam bin Abī Al-Arqam, p. 476.

12 Al-Khāzin, Abū Al-Ḥasan ʻAlā' Al-Dīn bin Muḥammad (1994). *Lubāb Al-Taʻwīl fī Maʻānī Al-Tanzīl.* (Vol. 6). Dār Al-Kutub Al-ʻIlmiyyah, p. 76.

13 Al-Naysābūrī, Niẓām Al-Dīn Al-Ḥasan bin Muḥammad (1995). *Gharā'ib Al-Qur'ān wa Raghā'ib Al-Furqān* (Zakariyyā ʻAmīrāt, Ed.). (Vol. 6). Dār Al-Kutub Al-ʻIlmiyyah, 497.

5- وقال أبو بكر الجزائري(ت1439هـ): " الابتلاء الاختبار والامتحان لإظهار ما عليه الممتحن من قوة أو ضعف"[14].

6- وتساءل الشعراوي(ت1418هـ) عن الابتلاء فقال:" ما معنى الابتلاء؟ الناس يظنون أنه شر، ولكنه في الحقيقة ليس كذلك؛ لأن الابتلاء هو امتحان إن نجحنا فيه فهو خير، وإن رسبنا فيه فهو شر، فالابتلاء ليس شرا، ولكنه مقياس لاختبار الخير والشر..."[15]. وكلها أقوال ومعاني متقاربة، يجمعها جميعا أن نقول: إنّ الابتلاء هو التجربة والاختبار والامتحان بالأمر للإنسان سواء أكان خيرا أم شرا، حتى يعلم من حاله الطاعة أو العصيان.

2.2 *الابتلاء سنة كونية لحكم ربانية*

إنّ الله عز وجل خلق الإنسان لعبادته وطاعته، ومن أنواع العبادة الصبر على الابتلاء سواء أكان خيرا أم شرا، فالله يبتلي العبد بالخير ليشكر ويبتليه بالشر ليصبر. قال تعالى: **{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ}** [الأنبياء: 35].

ولما كان الإنسان مبتلا لا محاله بأي وجه فقد وجهه القرآن الكريم ليستعد لمواجهة هذا الابتلاء، فقال تعالى: **{الم. أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ. وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ}** [العنكبوت:1-3]

المرسلين والأنبياء "عليهم السلام" من أشد الناس بلاء ليكونوا قدوة للمتبعين؛ فأنبياء الله صلوات الله عليهم جميعا هم صفوة البشرية اختارهم الله سبحانه ليبلغوا

---

14 Al-Jazā'irī, Abū Bakr Jābir bin Mūsā (2003). *Aysar Al-Tafāsīr li Kalām Al-'Ulā Al-Kabīr*. (Vol. 1). Maktabah Al-'Ulūm wa Al-Hukm, p. 65.

15 Al-Sha'rāwī, Muḥammad Mutawallī (1997). *Tafsīr Al-Sha'rāwī*. (Vol. 1). Maṭābi' Akhbār Al-Yawm, p. 569.

رسالته إلى البشرية، قال سبحانه: {**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَآئِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النّاسِ إِنّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**} [الحج:75].

فالرسل الكرام "عليهم السلام" لا يكونون إلا صفوة الخلق على الإطلاق، والله الذي اختارهم واصطفاهم أعلم بحقائق الأشياء، لا يخفى عليه شيء، فهو السميع، البصير، الذي قد أحاط علمه وسمعه وبصره بجميع الأشياء، فاختياره إياهم، عن علم منه، أنهم أهل لذلك [16]، وهم مع ذلك كله أشد الناس ابتلاء من الله سبحانه، فالبلاء من الرحمن ينزل على قدر الإيمان. عن مصعب بن سعد عن أبيه قال:" قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: "الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ البَلَاءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ"[17].

لذا فقد ابتلي الأنبياء "عليهم صلوات الله وسلامه" بأنواع من الابتلاء؛ فابتلوا بالسراء والضراء ، وشتى وسائل البلاء وهي سنته سبحانه في الابتلاء، وحقيقة وصف المؤمن بالصلابة والرقة في الدين راجع إلى غير الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام، وفيه أن من سواهم من المؤمنين يحط عنهم ببلائهم خطاياهم إذا صبروا واحتسبوا؛ فالأنبياء والمرسلين سالمين من الذنوب و الخطايا والمعاصي والآثام. قال الطحاوي "رحمه الله": "فَعَقَلْنَا بِذَلِكَ أَنَّ ذَلِكَ الْقَوْلَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَصْفِ الْأَدْيَانِ بِالصَّلَابَةِ وَالرِّقَّةِ لَمْ يَرْجِعْ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ۞ لِأَنَّهُمْ لَا رِقَّةَ فِي أَدْيَانِهِمْ ۞ وَأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَرْجِعُ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ مِمَّنْ ذَكَرَ مَعَهُمْ. وَكَانَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ سِوَاهُمْ يُحَطُّ عَنْهُمْ بِالْبَلَاءِ الَّذِي يُبْتَلَوْنَ بِهِ فِي الدُّنْيَا خَطِيئَاتِهِمْ. وَذَلِكَ عِنْدَنَا۞ وَاللهُ أَعْلَمُ۞ لِاحْتِسَابِهِمْ عِنْدَ ذَلِكَ وَصَبْرِهِمْ عَلَيْهِ فَتُمَحَّصُ عَنْهُمْ خَطِيئَاتُهُمْ بِذَلِكَ إِذَا كَانُوا

---

16 Al-Sa'dī, 'Abd Al-Raḥmān bin Nāṣir (1999). *Taysīr Al-Karīm Al-Raḥmān fī Tafsīr Kalām Al-Mannān*. (Vol. 1). Mu'assasah Al-Risālah, p. 546.

17 Al-Tirmidhī, Abū 'Īsā Muḥammad bin 'Īsā (1972). *Sunan Al-Tirmidhī*. (Vol. 4). Sharikah Maktabah wa Maṭba'ah Muṣṭafā Al-Bābī Al-Ḥalabī, p. 60 (Bāb Mā Jā'a fī Al-Baṣar 'alā Al-Balā').

ذَوِى خَطَايَا۞ وَإِذَا كَانَ الْأَنْبِيَاءُ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ بِخِلَافِهِمْ۞ لِأَنَّهُمْ لَا خَطَايَا لَهُمْ"[18]

والأنبياء الكرام "عليهم السلام" تحملوا أقصى الشدائد والمحن في السراء والضراء، وتقلبوا بين البلاء بالخير والشر. " والطريقُ طريقٌ تعبَ فيه آدمُ، وناحَ لأجلِهِ نوحٌ، ورُمِيَ في النار الخليلُ، وأُضْجِعَ للذبح إسماعيلُ، وبِيع يوسفُ بثمنٍ بَخْس ولَبِث في السجن بضعَ سنين، ونُشِرَ بالمنشار زَكرِيَّا، وذُبح السيدُ الحصورُ يحيى، وقاسَى الضُّرَّ أيوبُ، بكاءُ داود، وسار مع الوحش عيسى، وعالج الفقرَ وأنواعَ الأذى محمدٌ –صلى الله عليه وسلم–"[19]

وقد تنوعت ابتلاءات المرسلين والأنبياء "عليهم السلام" في أنفسهم وفيمن يعولون بالخير والشر. فمنهم من ابتلي بالإصابة في جسده بالمرض والعلة مثل نبي الله أيوب عليه السلام، وأُخبر نبيُّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالابتلاء في أول يوم من النبوة :فقال له ورقة بن نوفل: " يا ليتني فيها جذع، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ). قَالَ: نَعَمْ۞ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ۞ وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا"[20]. ومن الأنبياء من قبله من ابتلي بولده، فقتل احد أبنائه أخاه وهو آدم عليه السلام، وكذلك نوح عليه السلام ابتلي بكفر ولده، وغير ذلك كثير.

---

18 Al-Ṭaḥāwī, Abū Ja'far Aḥmad bin Muḥammad (1994). *Sharḥ Mushkil al-Āthār*. (Vol. 5). Mu'assasah Al-Risālah, p. 456.

19 Ibn Qayyim Al-Jawziyyah, Abū 'Abd Allāh Muḥammad bin Abī Bakr (2018). *Badā'i' Al-Fawā'id* (Muḥammad 'Uzayr Shams, Ed.). (Vol. 1). Dār Ibn Ḥazm, p. 57.

20 Muttafaq 'alayhi, wa allafẓ li Al-Bukhārī. Al-Bukhārī, Abū 'Abd Allāh Muḥammad bin Ismā'īl (1993). *Ṣaḥīḥ Al-Bukhārī* (Muṣṭafā Dīb Al-Bughā, Ed.). (Vol. 1). Dār Ibn Kathīr, p. 4 (Kitāb Bad'u Al-Waḥy, Bāb Kayfa Kāna Bad'u Al-Waḥy ilā Rasūl Allāh SAW, no. hadith:3); Al-Qushayrī, Abū Al-Ḥusayn Muslim bin Al-Ḥajjāj (1954). *Ṣaḥīḥ Muslim*. (Vol. 1). Maṭba'ah 'Īsā Al-Bābī wa Shurakā'ihi, p. 139 (Kitāb Al-Īmān, Bāb Bad'u Al-Waḥy ilā Rasūl Allāh SAW, no. hadith:160).

وعليه فالأنبياء والمرسلين "عليهم السلام" قابلوا كل هذه الابتلاءات بصبر وثبات، فصبروا على البلاء والعناء ورضو عن فعل الله والقضاء. وابتلوا بالنعماء فكانوا من الشاكرين لله رب العالمين.

وهذا الابتلاء كما أصاب الأنبياء أصاب أتباعهم أيضا يوضح ذلك حديث قيس عن خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ (رضي الله عنه) قالَ: " شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ قال: (كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه. ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرُ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حضرموت، لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون"[21]. فهذه سنة الله في خلقه، وطريقته في عباده؛ "فالابتلاء سنة ماضية في السابقين وفي اللاحقين إلى يوم القيامة."[22].

وسندرس في هذا البحث بإذن الله نموذجين ابتلوا بالذرية وهما نبي الله يعقوب ونبيه سليمان "عليهما صلوات الله وسلامه".

الحِكَمة من الابتلاء للمرسلين والأنبياء "عليهم السلام":

المؤمنون يجب أن يرضوا عن فعل الله ويفعلوا ما يرضي مولاهم جل ثناؤه في السراء والضراء، ومن باب أولى الأنبياء والمرسلين "عليهم السلام" ومما لا شك فيه أن الابتلاء لأنبياء الله ورسله نابع عن حِكَم ربانية أجملها بالاتي:

1. إن المقصد الأصلي من الابتلاء هو ظهور كمال إحسان المحسنين مع تحقيق أصل الإيمان والطاعة في المبتلين[23] ففي ابتلاء النبي وصبره عليه بيان لفضله

---

21 Al-Bukhārī (1993). *Ṣaḥīḥ Al-Bukhārī* (Vol. 3), p. 1322 (no. hadith:3416).

22 Ṭanṭāwī, Muḥammad Sayyid (n.d.). *Al-Tafsīr Al-Wasīṭ li al-Qur'ān Al-Karīm*. (Vol. 11). Dār Nahḍah Miṣr li Al-Ṭibā'ah wa Al-Nashr wa Al-Tawzī', p. 13.

23 Al-Alūsī, Shihāb Al-Dīn Maḥmūd bin 'Abd Allāh (1994). *Rūḥ Al-Ma'ānī f fī Tafsīr Al-Qur'ān Al-'Aẓīm wa Al-Sab' Al-Mathānī* ('Alī 'Abd Al-Bārī 'Aṭiyyah,

بين أتباعه. يقول ابن القيم (ت751هـ) "رحمه الله": "فإنه سبحانه كما يحميهم ويصونهم ويحفظهم ويتولاهم، فيبتليهم بما شاء من أذى الكفار لهم ليستوجبوا كمال كرامته، وليتسلى بهم من بعدهم من أممهم وخلفائهم إذا أوذوا من الناس، فرأوا ما جرى على الرسل والأنبياء، صبروا ورضوا، وتأسّوا بهم ... فهذا من بعض حكمته تعالى في ابتلاء أنبيائه ورسله بإيذاء قومهم"[24].

2. إنّ الابتلاء يكشف إيمان المؤمنين، وصبرهم على المكروه، واحتمالهم الأذى في سبيل الله، وبذلك يتميز الخبيث من الطيب. والنبي باحتماله الأذى في سبيل الله تزداد مكانته وترتفع منزلته عند الله عز وجل. قال تعالى مثنيا على نبيه أيوب لصبره على البلاء: **{إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ}** [ص: 44]؛ فالابتلاء للأنبياء "عليهم والسلام" سبيل لرقيهم في أعلى الدرجات، بإظهار صدق إيمانهم. " وَإِذا تَأَمَّلت حكمته سُبْحَانَهُ فِيمَا ابتلى بِهِ عباده وصفوته بِمَا ساقهم بِهِ الى اجل الغايات وأكمل النهايات الَّتِي لم يكونوا يعبرون إليها إِلَّا على جسر من الِابْتِلَاء والامتحان وَكَانَ ذَلِك الجسر لكماله كالجسر الَّذِي لَا سَبِيل الى عبورهم الى الْجنَّة إِلَّا عَلَيْهِ وَكَانَ ذَلِك الِابْتِلَاء ولامتحان عين الْمنْهَج فِي حَقهم والكرامة فصورته صُورَة ابتلاء وامتحان وباطنه فِيهِ الرَّحْمَة وَالنعْمَة فكم لله من نعْمَة جسيمة وَمِنْه عَظِيمَة تجنى من قطوف الِابْتِلَاء والامتحان ..."[25].

Ed.). (Vol. 5). Dār Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, p. 64; and Al-'Imādī, Abū Al-Sa'ūd Muḥammad bin Muḥammad (n.d.). *Irshād Al-'Aql Al-Salīm ilā Mazāyā Al-Kitāb Al-Karīm*. (Vol. 6). Dār Iḥyā' Al-Turāth Al-'Arab, p. 248.

24 Ibn Qayyim Al-Jawziyyah, Abū 'Abd Allāh Muḥammad bin Abī Bakr (1999). *Tafsīr Al-Qur'ān Al-Karīm*. Dār wa Maktabah Al-Hilāl, p. 634.

25 Ibn Qayyim Al-Jawziyyah, Abū 'Abd Allāh Muḥammad bin Abī Bakr (n.d.). *Miftāḥ Al-Sa'ādah wa Manshūr Wilāyah Al-'Alam wa Al-Irādah*. (Vol. 1). Dār Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, p. 299.

3. في ابتلاء الأنبياء والمرسلين "عليهم السلام" تعريف لأتباعهم من المؤمنين بحقيقة الحياة الدنيا أنها دار فناء لا دار بقاء، لا تدوم بها النعم ولا تستمر بها النقم؛ لكونها حياة قائمة على أساس الاختبار والابتلاء.
4. وفي اختبار الله لأنبيائه تقوم الحجة على أتباعهم بما يبدو منهم[26] إذ إنّ الأنبياء "عليهم السلام" لا يبدوا منهم ضجر ولا جزع، بل صبر وثبات يجعل الأتباع أكثر ثباتا على الحق.
5. في ابتلاء الأنبياء "عليهم السلام" تجسيد لمنهج التربية بالقدوة الحسنة فيقتدي بالرسل والأنبياء من بعدهم من أممهم وخلفائهم فإذا أوذوا من الناس فرأوا ما جرى على الرسل والأنبياء صبروا ورضوا وتأسوا بهم. " ومن المعلُوم الظَّاهِر أَنَّ التَّبَعَ إذا عَرَفُوا أن المتبوعَ في أَعْظَم المِحنَ بسبب المذهب الذي ينصرُه، ثم رأوه مع ذلك مُصِرّاً على ذلك المذهب كان ذلَك أَدْعَى لهم إلى اتِّباعِه مما إذا رأوه مُرَفّه الحَالِ، لا كُلْفة عليه في ذلك المذهب"[27].
6. وفي ابتلاء الأنبياء "عليهم السلام" يستحق أعداءهم ما أعده الله لهم من النكال العاجل والعقوبة الآجلة فيمحقهم الله في الدنيا بسبب بغيهم وعداوتهم لأوليائه من الأنبياء وأتباعهم[28] ويعذبهم بالآخرة عذبا أليما يوم القيامة، قال تعالى: **{وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا}** [الأحزاب:58].
7. ومن حكم الابتلاء للأنبياء والمرسلين "عليهم السلام" أنهم يوطِّنُوا أنفسهم بالصبر على المحن إذا وردت فيكونوا مدرسة نبوية تربوية للخلق.

---

26 Ibn Juzay (1995). *Al-Tashīl*, (Vol. 1), p. 264.

27 Ibn ʻĀdil, Abū Ḥafṣ Sirāj Al-Dīn ʻUmar bin ʻĀdil (1998). *Al-Lubāb fī ʻUlūm Al-Kitāb* (ʻĀdil Aḥmad ʻAbd Al-Mawjūd, ʻAlī Muḥammad Muʻawwaḍ, Eds.). (Vol. 3). Dār Al-Kutub Al-ʻIlmiyyah, p. 82.

28 Ibn Qayyim (2018). *Badāʼiʻ*, (Vol. 2), p. 745.

8. إنّ في اختبار الله للأنبياء وأتباعهم كشف لزيف بعض من يدع الاتباع" فمن المنَافِقِينَ مَنْ أَظْهَر متابعة الرسول صلوات الله وسلامه عليه طمعاً منه في المال، وسعة الرزق، فإذا اختبره تعالى بنزول هذه المحن فعند ذلك يتميز المنافق من الموافق"[29].

9. بالابتلاء يزداد النبي إخلاصا ورجوعا إلى الله تعالى بما يتقرب من طاعات وبصبره على ما يعتريه من مشقات، فحين ابتلى الله إبراهيم "عليه السلام" بكلمات تكليفية افعل كذا ولا تفعل كذا. أدى "صلوات ربي وسلامه عليه" جميع هذه التكليفات مخلصا لمولاه قال تعالى: **{وَإِذِ ابْتَلى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ}** [البقرة : 124]، فقد فعلهن عليه السلام على سبيل التمام والكمال[30].

10. إن في اختبار الله تعالى للأنبياء "عليهم السلام" وأتباعهم إعدادا لهم لتحمل الأمانة، فحمل الأمانة لا يتم إلا بالمعاناة والاستعلاء على الشهوات واللذات، والصبر على الآلام والعنت، والثقة بنصر الله والطمع بثوابه على شدة الابتلاء. قال ابن كثير(ت774هـ) في تفسير قوله تعالى: **{حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ}** [يوسف:110] : " يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّ نَصْرَهُ يَنْزِلُ عَلَى رُسُلِهِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، عِنْدَ ضَيِّقِ الْحَالِ وَانْتِظَارِ الْفَرَجِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَحْوَجِ الْأَوْقَاتِ إِلَى ذَلِكَ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **{وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ}**[الْبَقَرَةِ: 214]"[31].

---

29 Ibn ʻĀdil (1998). *Al-Lubāb*, (Vol. 3), p. 82.

30 Al-Rāzī (1999). *Miftāḥ Al-Ghayb*, (Vol. 5), p. 297.

31 Ibn Kathīr, Abū Al-Fidāʾ Ismāʻīl bin ʻUmar (1999). *Tafsīr Al-Qurʾān Al-ʻAẓīm* (Sāmī bin Muḥammad Al-Salāmah, Ed.). (Vol. 4). Dār Ṭayyibah li Al-Nashr wa Al-Tawzīʻ, p. 424.

3. ابتلاء نبي الله يعقوب عليه السلام بأولاده

نبي الله يعقوب عليه السلام وهو الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابتلي بالأولاد وابتلي بأنواع أخرى من الابتلاءات في هذا البيت الكريم، وقد جاءت سورة يوسف تحدثنا عن أنواع متعددة من الابتلاءات بالشدة تارة، والرخاء تارة، والشهوة تارة، والسلطان تارة أخرى وكل هذه الأمور حصلت في هذا البيت النبوي المبارك.

وسنخص الحديث في هذا المبحث بالحديث عن ابتلاء نبي الله يعقوب عليه السلام بأولاده وحقيقة هذا الابتلاء، فيخبرنا القرآن الكريم أن ظنّاً خاطئاً وقع في نفوس أخوة يوسف– وهم الذين تربوا في بيت النبوة– بأنّ والدهم يحب أخويهم الصغيرين يوسف وأخاه– أكثر منهم، فكان التآمر، ومحاولة القتل، والإبعاد، قال تعالى: {**لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ * إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ * اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ**} [يوسف: 7–9].

الأمر الذي يطرح سؤالاً يحتاج إلى جواب، والسؤال هو: هل كان هذا التمييز واقعاً من نبي الله يعقوب بين أولاده حتى وجدت بينهم هذه العداوة وتلك الضغناء؟

بداية أقول: إنّ التمييز المدعى من الأبناء على أبيهم لا يقودنا إلى التسليم بأنّ نبي الله يعقوب "عليه السلام" كان يفضل يوسف وأخاه على باقي الأولاد، إذ إنّ الأنبياء دعاة هداية وإرشاد، وتوحيد كلمة، وهم أحرص النّاس على إيجاد المودة والمحبة بين المؤمنين، فكيف يتصور أنْ يقع منهم ما يحمل على العداوة والمشاحنة بين أبنائهم؟ لا سيما ونحن نرى في هذه الأيام ما تعانيه الأسر من قطيعة وتمزق سببه تمييز الوالدين بين أولادهم.

ولهذا فلا أرى صواب ما ذهب إليه الدكتور عبدالقادر حسين بقوله: "فحقد أخوة يوسف وحسدهم – بسبب تفضيل والدهم له– أدى إلى عزمهم على قتله"[32]، ولا ما ذكره فضل حسن عباس (1432هـ) بقوله: "إنّ أخوة يوسف فعلوا ذلك لما رأوه من معاملة أبيهم وتفضيله يوسف عليهم... ولقد دفع يعقوب ثمن هذا الحب الذي لم يستطيع أنْ يخفيه عن الآخرين، دفعه لوعة ألم، وسقم جسد، ومرارة فراق"[33].

وكذا قول محمود شلبي: "لقد أحب يعقوب يوسف لأنّه اكتشف في ثناياه، نور الميراث، ميراث النبوة.. فاستمكن حب يوسف من فؤاد يعقوب، لا لأنّه أصغر إخوته كما يظن الجاهلون"[34].

وقد قام بعض المفسرين بالاعتذار عن هذه المحبة، والتفضيل المزعوم بأسباب متعددة، قال الألوسي(ت1270هـ): "فالذي ينبغي أن يعول عليه أنه عليه السلام إنما أحبه أكثر منهم لما رأى فيه من مخايل الخير ما لم ير فيهم وزاد ذلك الحب بعد الرؤيا لتأكيدها تلك الإمارات عنده ولا لوم على الوالد في تفضيله بعض ولده على بعض في المحبة لمثل ذلك"[35].

وقال الفخر الرازي: "وأما تخصيصهما بمزيد البر فيحتمل أنه كان لوجوه: أحدها: أن أمهما ماتت وهما صغار. وثانيها: لأنه كان يرى فيه من آثار الرشد والنجابة ما لم يجد في سائر الأولاد، وثالثها: لعله عليه السلام وإن كان صغيرا إلا أنه كان يخدم أباه بأنواع من الخدم أشرف وأعلى بما كان يصدر عن سائر الأولاد"[36].

والذي أميل إليه أنّ التفضيل من يعقوب "عليه السلام" ليوسف وأخيه لم يقع أصلاً، وما كان "عليه الصلاة والسلام" ليفضل يوسف وأخاه على سائر الأولاد، ويتسبب في

---

32 Ḥusayn, ʻAbd Al-Qādir (1994). *Dirāmā Al-Ḥasad wa Al-Gharīzah fī Qiṣṣāh Yūsuf*. Mu'assasah Al-Khalīj Al-ʻArabī, p. 61.

33 Al-ʻAbbās, Faḍl Ḥasan (n.d.). *Al-Qaṣaṣ Al-Qur'ānī Īḥā'uhu wa Nafaḥātuhu*. Dār Al-Furqān, pp. 398-408.

34 Shalabī, Maḥmūd (1982). *Ḥayaḥ Yūsuf*. Dār Al-Jīl, p. 202.

35 Al-Alūsī (1994). *Rūḥ Al-Maʻānī*, (Vol. 6), p. 382.

36 Al-Rāzī (1999). *Miftāḥ Al-Ghayb*, (Vol. 18), p. 423.

إيقاع العداوة والبغضاء، والحقد بين الأولاد كما يفعل بعض الآباء في هذه الأيام، وذلك للأمور الآتية:

1- إنّ هذا الحكم الذي صدر بأن يوسف وأخاه أحب إلى يعقوب من سائر الأبناء كان من قول الإخوة، ولم يحكم به القرآن على نبي الله يعقوب- عليه السلام- وإنّما الذي حملهم على هذا القول شدة الغيرة، أو من خلال وساوس الشيطان حملهم هذا الاتهام، والتخطيط للتخلص من أخيهم، بدليل اعترافهم في آخر السورة بخطأ ظنهم في والدهم واعتذارهم عما فعلوه بأخيهم، قال تعالى: **{قَالُواْ يأَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ}** [يوسف: 97].

2- إنّ يعقوب – عليه السلام- نبي مهتد بهدي رب العالمين، وهو من الذين أمر الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بهم قوله: **{أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ}** [الأنعام:90] فلا يتصور ممن كان هذا حاله أنْ يصدر عنه ما يوقع الأبناء في الضغينة والبعد عن الحق.

3- وعلى فرض وقوع زيادة المحبة من يعقوب ليوسف عليه السلام، فإنّ المحبة أمر قلبي وليست مما يدخل تحت وسع البشر، والمرء معذور فيما لم يدخل تحت وسعه، وما كان لهؤلاء الأبناء أنْ يطلعوا على ما في قلب يعقوب عليه السلام ما دام أنّه لم يكن يؤثر يوسف وأخاه عليهم في المعاملة والأمور الظاهرة.

4- أمّا ما ذكر من أنّ سبب التفضيل والحب الصغر، والنبوة فيبعده، أنّ أخا يوسف كان أصغر منه فهو أولى بالتفضيل، وكذا النبوة، فيوسف كان صغيراً وسنه لا يؤهله للنبوة، وعليه فما ادعاه الأبناء في حق أبيهم دعوى باطلة، أثار اعتقادها في نفوسهم شدة الغيرة التي تقع بين الإخوة، فتوهموا توهماً باطلاً أنّ أباهم يميز أخويهما بحبه عنهم، ولو كان ما قالوه في والدهم صحيحاً فليس من الصواب معاقبة يوسف على أمر لا ذنب له فيه، الأمر الذي يدل على فساد الأوهام.

وهذا الموقف من أبناء يعقوب –عليه السلام– من أبيهم وأخيهم يوجب على الآباء والأمهات الحرص على إشعار جميع الأبناء بالمحبة صغيرهم وكبيرهم، والعدل والمساواة بينهم، واجتناب تفضيل بعض الأولاد على بعض بما يعد محاباة، وأنّ يسلكوا سبل الحكمة في مدح ما تميزوا به عن بعضهم من مواهب، فإذا كان مجرد الظن من الأبناء بأبيهم وسلوكه– وهم أبناء نبي كريم تربوا في بيت النبوة– أدى إلى وقوع المؤامرة على أخيهم، والتخلص منه، واتهام أبيهم بالضلال في المعاملة، فكيف لو ميّز بينهم بالعطايا وغيرها من أمور؟[37].

وترشدنا السورة في عملية التوجيه الأبوية خلال هذا الابتلاء إلى ضرورة أن يراعي الآباء في التوجيه عدم التعنيف والتوبيخ؛ لأنّ ذلك يجعل النصح أكثر قبولاً واحتراماً، فإذا أحيط التوجيه بالتوبيخ، أفسد على العقول الفهم في كثير من الأحيان، ومنع النصح من أن يكون مكان احترام؛ "فاستخدام الشدة في التوجيه والتعليم في بعض الأحيان يؤدي بالأولاد إلى ضيق النفس، وذهاب النشاط، وحصول الكسل، والحمل على الكذب، والخبث، والمكر، والخديعة"[38].

وإذا عدنا إلى سورة يوسف وجدنا فيها أنموذجاً حياً من يعقوب –عليه السلام– في التعامل الصحيح مع هذا الابتلاء فنجده يتجنب أسلوب التوبيخ، والتعنيف لأولاده بالرغم مما حدث منهم، فبعد إلقاء الأولاد أخاهم يوسف في الجب وعودتهم إلى والدهم يخاطبهم معاتباً بعيداً عن التعنيف {**بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَالله الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**} [يوسف: 18].

وبعد عودتهم من غير ولده الثاني من مصر يكون الخطاب نفسه: {**قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى الله أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيم**} [يوسف: 83].

---

37 Anonymous (1999). *Majallah Mu'tah li Al-Buḥūth wa Al-Dirāsāt 3* (Vol. 14), p. 68.

38 Zay'ūr, 'Alā (1985). *Al-Tarbiyah wa 'Ilm Nafs Al-Walad fī Al-Dhāt Al-'Arabiyyah*. Dār Al-Andalus, p. 291.

إنّ ما حدث من أمور جسام بفقد ولديه محنتان جسيمتان كفيلتان أنْ تحملاه على تعنيف باقي الأولاد وتوبيخهم، ولكنه في كل مرة يكون منه هذا الخطاب الحكيم.

وقد كان الضبط للنفس، ومواجهة الابتلاء بهذه المواقف بروية وصبر نتيجة عظيمة في أولاده حيث حملهم على البحث عن يوسف وأخيه بجد واجتهاد حتى وصلوا إليهما.

وكان يمكن أنْ يخرجوا في كل مرة يقولوا بحثنا ولم نجد لو كان منه التعنيف والتوبيخ صباح مساء، ولكن الرفق واللين الذين تحلى بهما النبي الكريم "عليه السلام" كانا سبباً في رد الأولاد إلى جادة الطريق من خلال حواره الهادئ لهم والتوجيه بالحكمة أمام هذه المحن والابتلاءات.

وتأكيداً على أهمية هذا الأسلوب في التعامل أمام الأحداث يثني القرآن الكريم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بتحليه بهذا الجانب في التعامل مع الأمة بقوله: {**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ الله لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ**} [آل عمران:159]، ويثني الرسول عليه الصلاة والسلام على أشج عبد قيس [39]، بقوله: "إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ. الحلم والأناة"[40].

وإذا كان اللين والرحمة والحلم من الأب اتجاه المذنب من ولده له هذا الأثر الطيب في رده إلى الصواب فإن التجاوز والمبالغة في اللين قد تقلب الأمر إلى ضده، ويصبح ضاراً حاملاً للولد على الدلال الذي يجعله لا يطيق أن ينقص مما يريد شيئاً "فمعاملة

---

39 أشج عبد قيس، هو المنذر بن عائذ بن المنذر بن الحارث العصر العبدي، من عبد القيس يعرف بالأشج وهو من سادة قومه وكان قائد قومه للإسلام فناداه الرسول: يا أشج وكان أول يوم يسمى فيه بالأشج.

Al-Qurṭubī, Abū ʻAbd Allāh Muḥammad bin Aḥmad (1964). *Al-Jāmiʻ li Aḥkām Al-Qurʾān* (ʻAlī Muḥammad Al-Bajāwī, Ed.). (Vol. 4). Dār Al-Kutub Al-Miṣriyyah, p. 1448.

40 Muslim (1954). *Ṣaḥīḥ Muslim*, p. 49 (Kitāb Al-Īmān, Bāb Al-Amr bi Al-Īmān bi Allāh Taʻālā wa Rasūlihi SAW wa Sharāʾiʻ Al-Dīn wa Al-Duʻāʾ ilayhi, no. hadith:18).

الوالدين لأولادهم بالرفق واللين يجب ألا تزيد عن الحد الطبيعي فيكون الطفل بؤرة اهتمام والديه، وتجاب له جميع مطالبه، فيدخل في مجال الطفل المدلل"[41].

وما أكثر الآباء الذين يعانون في هذه الأيام من سلوك أبنائهم بعد بلوغهم بسبب الاكتفاء بجانب اللين في المعاملة والموعظة وعدم إعطاء بعض المواقف الشدة والحزم المناسبين، وهذا أمر يقدره الإنسان مع الأولاد بحسب حالهم.

ونجد نبي الله يعقوب عليه السلام خلال هذا الابتلاء يقوم بتصحيح الفكر بتذكير الأولاد بخطأ سبق وقوعه منهم مما يجعلهم حذيرين من الوقوع به مرة أخرى، وذلك أنّ مرور الأيام كفيل بأن ينسي الإنسان ما وقع منه من أخطاء فيأتي التذكير بما سبق من سقطات حال الوعظ والتوجيه لحمايته من الوقوع بها مرة أخرى، لذا كان التوجيه النبوي من نبي الله يعقوب في وعظه ونصحه لأولاده بعد أن طلبوا منه أخاهم لعزيز مصر ليستوفوا الكيل: {**قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**} [يوسف: 64].

وقد رأينا من خلال النظر في سورة يوسف بعد هذا التذكير مدى حرص أولاد يعقوب على أخيهم وبذلهم المحاولات المخلصة من أجل تخليصه مما وقع فيه من تهمة السرقة مستعطفين العزيز على والدهم الشيخ الجليل الذي بلغ من السن عتياً {**قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ**} [يوسف: 78].

ونجد من ثمرة هذا التذكير أيضا معاتبة كبير أولاده لإخوته قائلاً: {**أَلَمْ تَعْلَمُواْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَّوْثِقاً مِّنَ الله وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ الله لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ**} [يوسف: 80].

41 Mabrūk, ‘Uthmān Aḥmad (1992). *Tarbiyah Al-Awlād wa Al-Ābā’ fī Al-Islām*. Dār Qutaybah, p. 92.

إنّ مخالفة الولد للخُلق الجميل في بعض الأحوال مرة واحدة ينبغي أن يتغافل عنه، فلا يهتك ستره، ولا يكاشفه؛ فإن إظهار ذلك عليه يفيده جسارة فلا يبالي بالمكاشفة [42].

لهذا لم يكثر يعقوب –عليه السلام– من القول والعتاب الذي يؤدي إلى الاستمرار في ركوب القبائح واكتفى بالسؤال التذكيري عما سبق وقوعه منهم مع يوسف –عليه السلام– **{قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ}**. فهو إذن أسلوب الحكيم الذي لا يبعث في الولد الإصرار على الخطأ، وإنّما يحمله على العودة للنهج القويم.

وهذا الأسلوب في التوجيه أثر إيجاباً في سلوك الأولاد؛ فكان يعقوب –عليه السلام– قدوة لأولاده في سلوكه أمام هذه المحنة ولم يكن واعظاً موجهاً فحسب، وكان لهذه القدوة وذلك التوجيه الأثر الكبير في سلوك الأبناء وعودتهم للحق.

لقد وقع من أخوة يوسف أخطاء سببها بعض المؤثرات التي تعتري النفوس أحياناً، كالحسد الذي يحمل النفوس على التخلص من مزاحمة الفاضل بفضله ممن هو دونه، أو مساويه، بإعدام صاحب الفضل، ولكن في نهاية المطاف كان الاعتراف بالذنب من الأولاد، وطلب المغفرة والندم على ما صدر عنهم [43].

ولم يذكر القرآن عنهم ما يشينهم بعد ما حدث منهم لأخيهم يوسف، وإنّما ذكر ثناء عليهم في قوله تعالى: **{قُولُواْ آمَنَّا بِالله وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ}** البقرة: 136].

والأسباط؛ هم أولاد يعقوب عليه السلام [44].

---

42 Al-Ghazālī, Abū Ḥāmid Muḥammad bin Muḥammad (n.d.). *Iḥyā' 'Ulūm Al-Dīn*. (Vol. 3). Dār Al-Ma'rifah, p. 73.

43 Anonymous (1999). Dirāsah fī Manhaj Al-Qur'ān Al-Tarbawī li Al-Abawah wa Al-Nubuwwah fī Sūrah Yūsuf. *Majallah Mu'tah li Al-Buḥūth wa Al-Dirāsāt 3* (Vol. 14), p. 71.

44 Al-Ṭabarī (n.d.). *Jāmi' Al-Bayān* (Vol. 2), p. 121; (Vol. 3), p. 111-112; Al-Samarqandī, Abū Al-Layth Nasr bin Muḥammad (1993). *Baḥr Al-'Ulūm*. (Vol.

والذي أرجحه أن إنزال الكتاب إليهم لا يدل على نبوتهم، وإنّما يدل على استقامتهم بعد ما صدر عنهم من إيذاء لأخيهم-يوسف- ووالدهم، فقد بدأت الآية بقوله تعالى: **{قُولُواْ آمَنَّا بِالله وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا}**، ومعنى إنزال الكتاب إلينا إنزاله لأجلنا، وكذلك إنزال الكتاب إلى الأسباط، فقد أنزل لأجلهم أي: لأجل أن يسيروا على نهجه، فما صدر عنهم من سلوك بتضييع أخيهم وإغضاب أبيهم يمنع نبوتهم.

وكانت النتيجة أن انتهى الابتلاء بلم شمل أسرة نبي الله يعقوب عليه السلام بعد تفرق.

ويؤكد النتائج السليمة والثمار الطيبة التي جناها نبي الله يعقوب عليه السلام من هذا الابتلاء وهذه المحنة من خلال توجيهه لأبنائه، ومعالجته لأمراض القلوب المتمثل بحسد الأبناء لأخيهم، أنّ القرآن لم يذكر لنا حسدهم لأخيهم يوسف عليه السلام مرة أخرى على الرغم مما وصل إليه من سلطان وجاه، الأمر الذي يوضح ما قررناه من أنّ التوجيه والسلوك النبوي من يعقوب أمام هذا الابتلاء ومعالجته للأحداث السابقة بالحكمة، قد آتى أكله فيهم، فرقت النفوس بالتوجيهات السامية إلى درجات طيبة في الخلق الكريم، ورضيت بما قدر سبحانه وتعالى وكتب؛ فقد غرس والدهم في قلوبهم أنّ هذا فضل المنعِم يؤتيه من يشاء، فطابت النفوس بما غُرس فيها. والله أعلم.

4. ابتلاء نبي الله سليمان عليه السلام بالذرية

يرشدنا القرآن الكريم في سورة ص إلى ابتلاء نبي الله سليمان عليه السلام بالذرية وذلك في رحاب الحديث عن حادثة الفتنة التي تعرض لها، والجسد الذي ألقي على كرسيه إذ اقترنت بطلبه عليه السلام العفو والمغفرة من الله عز وجل، وذلك في قوله تعالى: **{وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ * قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ}** [ص/34-35].

---

1). Dār al-Kutub Al-'Ilmiyyah, p. 161; Al-Qurṭubī, Abū 'Abd Allāh Muḥammad bin Aḥmad (1964). *Al-Jāmi' li Aḥkām Al-Qur'ān* ('Alī Muḥammad Al-Bajāwī, Ed.). (Vol. 2). Dār Al-Kutub Al-Miṣriyyah, p. 141; and Al-Suyūṭī, Jalāl Al-Dīn 'Abd Al-Raḥmān bin Abī Bakr (n.d.). *Al-Durr Al-Manthūr fī Tafsīr bi Al-Ma'thūr*. (Vol. 1). Dār Al-Fikr, p. 339.

وقد ختم الحديث عن الفتنة والابتلاء بطلب نبي الله سليمان عليه السلام للمغفرة، الأمر الذي حمل بعض المفسرين على نسبة المخالفة، والخطيئة إليه.

وذُكرت حول هذه الآيات تفسيرات للفتنة والجسد الملقى على كرسي سليمان عليه السلام بعضها مقبول، يؤيده الدليل، وبعضها ذُكرت من غير دليل ولا تليق بمقامه عليه السلام، أجمل أهمها فيما يلي:

أ- إنّ الجسد الملقى على كرسيه هو جلوس الشيطان على كرسي ملكه، وتسلطه على نسائه، وتلك هي فتنته ومحنته، بسب تقصير حصل منه [45].

ب- وقيل إنه عليه السلام رزق بمولود ذكر فخاف عليه من الشياطين، فأمر السحب بحفظه، فإذا به يجد الولد ميتا ملقى على كرسيه؛ فتنة له لعدم اعتماده وتوكله على الله [46].

ت- إن سليمان "عليه السلام" ابتلي بمرض شديد حتى صار على كرسيه كأنه جسد بلا روح، وقد شاع قولهم في الضعيف: لحم على وضم وجسد بلا روح، فالجسد الملقى على الكرسي هو سليمان عليه السلام نفسه، ثم عادت له صحته وعافيته بعد ذلك [47].

ث- إنه عليه السلام اجتهد وسمح لبعض نسائه المشركات، بإدخال الأصنام إلى بيوتهن وعبادتها، فلم يرض الله منه ذلك [48].

---

45 Al-Ṭabarī (n.d.). *Jāmi'* (Vol. 21), p. 198; Al-Rāzī (1999). *Miftāḥ* (Vol. 26), p. 393; Ibn Kathīr (1999). *Tafsīr* (Vol. 7), p. 57-58; and Al-Qurṭubī (1964). *Al-Jāmi'* (Vol. 15), p. 198.

46 Al-Nasafī, Abū Al-Barakāt ʻAbd Allāh bin Aḥmad (1998). *Madārik Al-Tanzīl wa Ḥaqā'iq Al-Ta'wīl* (Yūsuf ʻAlī Badyuwī, Ed.). (Vol. 3). Dār Al-Kalim Al-Ṭayyib, p. 155; Al-Alūsī (1994). *Rūḥ Al-Maʻānī* (Vol. 12), p. 190; and Ibn Āshūr (1984). *Taḥrīr* (Vol. 16), p. 286.

47 Al-Rāzī (1999). *Miftāḥ* (Vol. 26), p. 392; and Al-Alūsī (1994). *Rūḥ Al-Maʻānī* (Vol. 12), p. 190.

48 Al-Rāzī (1999). *Miftāḥ* (Vol. 26), p. 392; Al-ʻImādī (n.d.). *Irshād* (Vol. 7), p. 226; Al-Alūsī (1994). *Rūḥ Al-Maʻānī* (Vol. 12), p. 190; and Ibn Āshūr (1984). *Taḥrīr* (Vol. 23), p. 259.

ج- إن الفتنة والجسد الملقى أنه ابتلي بشق ولد رزقه الله إياه من أزوا جه؛ لكونه لم يستثن بالمشيئة حال طوافه على أزواجه، طالباً الأولاد لإعدادهم للجهاد في سبيل الله[49]، بدليل قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَام: لأطوفن الليلة على مائة امرأة، أو تسع وتسعين، كلهن يأتي بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: قُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ۞ فَلَمْ يَقُلْ: إن شاء الله۞ فَلَمْ يَحْمِلْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ۞ جَاءَتْ بشق رجل۞ والذى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ۞ لَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ۞ لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُرْسَانًا أَجْمَعُونَ"[50].

واستبعد أهل التحقيق من أئمة التفسير كثيراً من الأقوال السابقة؛ لأن مقام سليمان عليه السلام منزه عن أمثالها. قال ابن عاشور(ت1393هـ): "وَاخْتَلَفَتْ أَقْوَالُ الْمُفَسِّرِينَ فِي تَعْيِينِ هَذِهِ الْفِتْنَةِ فَذَكَرُوا قَصَصًا هِيَ بِالْخُرَافَاتِ أَشْبَهُ، وَمَقَامُ سُلَيْمَانَ عَنْ أَمْثَالِهَا أَنْزَهُ"[51].

ومن الردود على تلك الأقوال ما يلي:

أما الأول: فمحال لعدم تمكن الشياطين من المرسلين، وقد شهد الشيطان بعجزه عن عباد الله المخلصين، ودليل ذلك قوله تعالى: **{قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ*إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ}** [ص/82-83]؛ فلا يصح وقوع هذا التسليط على الأنبياء؛ فالشيطان لو قدّر له التسلط على المرسلين والتمكن منهم؛ فحينئذ لا يبقى اعتماد على شيء من الشرع [52].

---

49 Al-Bayḍāwī, Abū Sa'īd Nāsir Al-Dīn 'Abd Allāh (1997). *Anwār Al-Tanzīl wa Asrār Al-Ta'wīl* (Muḥammad 'Abd Al-Raḥmān Al-Mar'ashalī, Ed.). (Vol. 4). Dār Iḥyā' Al-Turāth, p. 29.

50 Muttafaq 'alayhi, wa al-Lafz li Al-Bukhārī. Al-Bukhārī (1993). *Ṣaḥīḥ* (Vol. 3), p. 1038 (Kitāb Al-Jihād wa Al-Siyar, Bāb Man Ṭalaba Al-Walad li Al-Jihād, no. hadith: 2664); and Muslim (1954). *Ṣaḥīḥ* (Vol. 3), p. 1275 (Kitāb Al-Īmān, Bāb Al-Istithnā', no. hadith: 1654).

51 Ibn Āshūr (1984). *Taḥrīr* (Vol. 23), p. 258.

52 Al-Rāzī (1999). *Miftāḥ* (Vol. 26), p. 392.

وأما الثاني: فلم يثبت بسند عن رسول الله "صلى الله عليه وسلم"، ولا يليق بمقام الأنبياء "عليهم السلام"؛ فهم الذين يعلمون الناس التوكل على الله تعالى والاعتماد عليه، وهل يخفى على نبي أن الأجل إن جاء سينفذ سواء أكان في السحب أو في غيرها. **{فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ}** [الأعراف/34]. لذا فلا يُتصور من الأنبياء "عليهم السلام" مخالفة ما يدعون إليه، ثم كيف ستكون كلمتهم موضع احترام من المدعوين بعد ذلك؟

وأما الثالث: وهو القول بمرض سليمان "عليه السلام"، فأصبح بذلك مجرد جسد على كرسي، فلا يدل عليه سياق الآيات، ولم يرد ذكره لا في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية المطهرة.

أما الرابع: فلا يخفى بطلانه؛ لكون المهمة العظمى للأنبياء "عليهم الصلاة والسلام" الدعوة لعبادة الله، وتطهير البشرية من الشرك؛ فلا يتصور أن يأذن به سليمان "عليه السلام" لبعض نسائه في بيته. قال الرازي في الرد على هذا القول: "لو قلنا إن سليمان أذن لتلك المرأة في عبادة تلك الصورة فهذا كفر منه، وإن لم يأذن فيه البتة فالذنب على تلك المرأة، فكيف يؤاخذ الله سليمان بفعل لم يصدر عنه؟"[53].

ويبقى الخامس: وهو ما يتعلق بتركه للمشيئة حال طوافه على نسائه طلباً للأولاد، إذ لم يُعط ما تمنى، وابتلي من نسائه بشق رجل، وتلك هي فتنة سليمان كما وردت في الحديث الصحيح سابق الذكر. وهذا هو الراجح–والله أعلم– لورود الدليل بذلك. قال أبو السعود: " أظهرُ ما قيل في فتنتِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ما رُوي مرفُوعاً أنَّه قال لأطوفنَّ الليلةَ...الحديث"[54]. وقد وقع من رسولنا محمد "صلى الله عليه وسلم" مثل ذلك؛ فجاء التوجيه القرآني له في قوله تعالى: **{وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا***

---

53 *Ibid.*

54 Al-'Imādī (n.d.). *Irshād* (Vol. 7), p. 226; Al-Ḥijāzī, Muḥammad Maḥmūd (1992). *Al-Tafsīr Al-Wāḍiḥ*. (Vol. 3). Dār Al-Jīl Al-Jadīd, p. 241; and Al-'Abbās (n.d.). *Al-Qaṣaṣ*, p. 358.

إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ} [الكهف23-24]. ثم إن السياق الذي ذكرت فيه هذه الحادثة عن نبي الله سليمان "عليه السلام" يدل على عدم وقوع المخالفة منه؛ فقد بدأت الآيات بالثناء عليه {**نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ**} [ص/30]، وختمت ببيان منزلته، وعلو مقامه: {**وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ**} [ص/40].

وقد جاء طلبه "عليه السلام" للمغفرة في الآيات مقرونا بطلبه للملك، وفيه دلالة واضحة على أنه استغفار من غير معصية؛ إذ لا يتناسب طلبه لِمُلْكٍ لا ينبغي لأحد بعده مع وقوع الزلة، ولو كان هناك زلة لاكتفى بطلب العفو والصفح عنها. قال الرازي في ذلك: "ويمكن أن يجاب عنه بأن الإنسان لا ينفك البتة عن ترك الأفضل والأولى، وحينئذ يحتاج إلى طلب المغفرة؛ لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين؛ ولأنهم أبدا في مقام هضم النفس، وإظهار الذلة والخضوع، كما قال صلى الله عليه وسلم: (إني لأستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة)[55]" [56].

وبهذا يتبين أن ابتلاء نبي الله سليمان "عليه السلام" حين ابتلي من نسائه بمولود غير سوي هو ابتلاء بالذرية؛ فصبر واحتسب الأجر عند الله تعالى يؤكد أن الدنيا دار اختبار وامتحان وابتلاء بالفتن، وأن هذه الابتلاءات للأنبياء "عليهم السلام" لا تزيدهم إلا طاعة لله تعالى وقرباً، وهو ما بينه سياق الآيات: { **وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ** }[ص/30] فوصف الله نبيه سيلمان "عليه السلام" بالعبودية، وهي من أشرف الصفات، وأسمى النعوت، وأنه كان كثير الرجوع إلى ربه ليكون بذلك مدرسة لمن ابتلي بهذه الحياه فيصبر على البلاء ويرضى عن فعل الله بالقضاء. والحمد لله رب العالمين.

---

55 Akhrajahu al-Bukhārī: عن أبي هريرة" رضي الله عنه" قَالَ: "سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ من سبعين مرة)

Al-Bukhārī (1993). *Ṣaḥīḥ* (Vol. 5), p. 232 (Kitāb Al-Da'awāt, Bāb Istighfār Al-Nabī SAW fī Al-Yawm wa al-Laylah, no. hadith: 5948).

56 Al-Rāzī (1999). *Miftāḥ* (Vol. 26), p. 393; and Anonymous (2005). Al-'Afw 'an Al-Anbiyā' fī Al-Qur'ān Al-Karīm wa Al-Maghfirah lahum. *Majallah Al-Manārah*, Jāmi'ah Āl Bayt 11 (Vol. 4), p. 112.

5. الخاتمة والنتائج

الابتلاء في الذرية أمر وقع على المرسلين والأنبياء "عليهم صلوات الله وسلامه" ومنهم نبي الله يعقوب ونبيه سليمان "عليهما السلام" وقد توصلتُ في هذه الدراسة إلى النتائج الآتية:

1. إنّ البلاء إذا كان بالعبد لا يملك العبيد الآخرون له شيئاً؛ فالشكوى إليهم في هذه الحالة إنما هي شكوى الرحيم إلى الذي لا يرحم؛ فينبغي الالتجاء إلى الله جل ثناؤه لرفع الكرب ودفع البلاء، بعد الأخذ بالأسباب المادية؛ لذا اتجه نبي الله يعقوب "عليه السلام" إلى الله بالشكوى وبث الحزن طالبا منه سبحانه الصبر والثبات.
2. لا تكون المصائب دائما بسبب ارتكاب الذنوب، فقد يبتلي الله تعالى بعض عباده الذين لم يذنبوا؛ لينالوا أجر الصابرين، وترتفع بذلك درجاتهم في عليين؛ فيعقوب وسليمان "عليهما السلام" نبيان كريمان وتعرضا لهذا الابتلاء بالذرية من غير معصية أو ارتكاب ذنب.
3. الحسد مرض خطير يؤدي إلى البغي ما لم يوجد الوازع الديني الذي يحول دون ذلك؛ فقد وقع بين أبناء يعقوب "عليه السلام" ما وقع بسبب الحسد، وتولد بسببه البغي والعدوان من الأولاد على أخيهم يوسف وآذوا أباهم يعقوب "عليهما السلام".
4. يجب على المؤمن أن يثبت أمام الشدائد ولا يتغير قلبه؛ فتخف المصائب على نفسه من خلال تنمية الثقة في نفسه بوعد الله بالأجر على الصبر، فالصابرون مجزيون بخير الثواب، مصداقا لقوله تعالى: {**وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**} [النحل: 96]؛ لذا كان موقف يعقوب "عليه السلام" الصبر الجميل على الابتلاء، طلباً للأجر والثواب من العلي الوهاب، وكذلك نبي الله سليمان فقد كان أواباً كثير الرجوع إلى الله.

5. طريق الدعوة محفوف بالمكاره والصعاب، وذلك لا يزيد الداعية إلا صلابة في دين الله، وثباتاً على الحق؛ فقد صبر نبي الله يعقوب "عليه السلام" على الابتلاءات، ورضي بالقضاء على الرغم من ابتلاء عظيم بفقد الولد الأول والثاني، إلا إنه ثبت على الحق فكان كالجبال الراسيات بإيمانه، ولم تهزه هذه الأحداث أو تضعف من عزيمته، ولم تجلسه عن واجباته باتجاه مولاه سبحانه، واستمر في دعوته إليه.
6. دأب الأنبياء الكرام "عليهم السلام" الاستغفار وطلب العفو من غير وقوع مخالفات، أو زلات؛ فهو هضم للنفس، وإظهار للذلة والخشوع، ومنه ما كان من نبي الله سليمان "عليه السلام": {**قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ**} [سورة ص ،35].
7. القصص القرآني مدرسة تربوية تعلمنا أن نجمع من حياة كل رسول العبر ونستفيد منها الدروس؛ لنكون بحق خير أمة أخرجت للناس، من خلال أخذنا تجارب كل رسول وجعلها منهجا لنا في حياتنا.

المصادر والمراجع

REFERENCES

Al-ʻAbbās, Faḍl Ḥasan (n.d.). *Al-Qaṣaṣ Al-Qur'ānī Īḥā'uhu wa Nafaḥātuhu*. Dār Al-Furqān.

Al-ʻAskarī, Abū Hilāl Al-Ḥasan bin ʻAbd Allāh (n.d.). *Al-Furūq Al-Lughawiyyah* (Muḥammad Ibrāhīm Salīm, Ed.). Dār Al-ʻIlm wa Al-Thaqāfah li Al-Nashr wa Al-Tawzīʻ.

Al-ʻImādī, Abū Al-Saʻūd Muḥammad bin Muḥammad (n.d.). *Irshād Al-ʻAql Al-Salīm ilā Mazāyā Al-Kitāb Al-Karīm*. Dār Iḥyā' Al-Turāth Al-ʻArabī.

Abū Zamanīn, Abū ʻAbd Allāh Muḥammad bin ʻAbd Allāh (2002). *Tafsīr Al-Qur'ān Al-ʻAzīz* (Ḥusayn bin ʻUkāshah, Muḥammad bin Muṣṭafā Al-Kanz, Eds.). Al-Fārūq Al-Ḥadīthah.

Al-Alūsī, Shihāb Al-Dīn Maḥmūd bin ʻAbd Allāh (1994). *Rūḥ Al-Maʻānī f fī Tafsīr Al-Qur'ān Al-ʻAẓīm wa Al-Sabʻ Al-Mathānī* (ʻAlī ʻAbd Al-Bārī ʻAṭiyyah, Ed.). Dār Al-Kutub Al-ʻIlmiyyah.

_____(1999). *Majallah Mu'tah li Al-Buḥūth wa Al-Dirāsāt*. Al-Mamlakah Al-Urduniyyah Al-Ḥāshimiyyah

_____(1999). Dirāsah fī Manhaj Al-Qur'ān Al-Tarbawī li Al-Abawah wa Al-Nubuwwah fī Sūrah Yūsuf. *Majallah Mu'tah li Al-Buḥūth wa Al-Dirāsāt*.

_____(2005). Al-'Afw 'an Al-Anbiyā' fī Al-Qur'ān Al-Karīm wa Al-Maghfirah lahum. *Majallah Al-Manārah*, Jāmi'ah Āl Bayt.

Al-Bayḍāwī, Abū Sa'īd Nāsir Al-Dīn 'Abd Allāh (1997). *Anwār Al-Tanzīl wa Asrār Al-Ta'wīl* (Muḥammad 'Abd Al-Raḥmān Al-Mar'ashalī, Ed.). Dār Iḥyā' Al-Turāth.

Al-Bukhārī, Abū 'Abd Allāh Muḥammad bin Ismā'īl (1993). *Ṣaḥīḥ Al-Bukhārī* (Muṣṭafā Dīb Al-Bughā, Ed.). Dār Ibn Kathīr.

Al-Ghazālī, Abū Ḥāmid Muḥammad bin Muḥammad (n.d.). *Iḥyā' 'Ulūm Al-Dīn*. Dār Al-Ma'rifah.

Al-Ḥanafī, Ṣadr Al-Dīn Muḥammad bin 'Alā' Al-Dīn (1997). *Sharḥ Al-'Aqīdah Al-Ṭaḥāwiyah* (Shu'ayb Al-Arna'ūṭ, 'Abd Allāh bin Al-Muḥsin Al-Turkī. Eds.). Mu'assasah Al-Risālah.

Al-Ḥijāzī, Muḥammad Maḥmūd (1992). *Al-Tafsīr Al-Wāḍiḥ*. Dār Al-Jīl Al-Jadīd.

Ḥusayn, 'Abd Al-Qādir (1994). *Dirāmā Al-Ḥasad wa Al-Gharīzah fī Qiṣṣāh Yūsuf*. Mu'assasah Al-Khalīj Al-'Arabī.

Ibn 'Ādil, Abū Ḥafṣ Sirāj Al-Dīn 'Umar bin 'Ādil (1998). *Al-Lubāb fī 'Ulūm Al-Kitāb* ('Ādil Aḥmad 'Abd Al-Mawjūd, 'Alī Muḥammad Mu'awwaḍ, Eds.). Dār Al-Kutub Al-'Ilmiyyah.

Ibn Āshūr, Muḥammad Al-Ṭāhir bin Muḥammad (1984). *Taḥrīr Al-Ma'nā Al-Sadīd wa Tanwīr Al-'Aql Al-Jadīd min Tafsīr Al-Kitāb Al-Majīd*. Al-Dār Al-Tūnisiyyah li Al-Nashr.

Ibn Fāris, Abū Al-Ḥusayn Aḥmad bin Fāris (n.d.). *Mu'jam Maqāyīs Al-Lughah* ('Abd al-Salām Muḥammad Hārūn, Ed.). Dār Al-Fikr.

Ibn Juzay, Abū Al-Qāsim Muḥammad bin Aḥmad (1995). *Al-Tashīl li 'Ulūm Al-Tanzīl* ('Abd Allāh Al-Khālidī, Ed.). Sharikah Dār Al-Arqam bin Abī Al-Arqam.

Ibn Kathīr, Abū Al-Fidā' Ismā'īl bin 'Umar (1999). *Tafsīr Al-Qur'ān Al-'Aẓīm* (Sāmī bin Muḥammad Al-Salāmah, Ed.). Dār Ṭayyibah li Al-Nashr wa Al-Tawzī'.

Ibn Manẓūr, Abū Al-Faḍl Muḥammad bin Mukarram (1993). *Lisān Al-'Arab*. Dār Ṣādir.

Ibn Qayyim Al-Jawziyyah, Abū 'Abd Allāh Muḥammad bin Abī Bakr (1999). *Tafsīr Al-Qur'ān Al-Karīm*. Dār wa Maktabah Al-Hilāl.

Ibn Qayyim Al-Jawziyyah, Abū ʿAbd Allāh Muḥammad bin Abī Bakr (2018). *Badāʾiʿ Al-Fawāʾid* (Muḥammad ʿUzayr Shams, Ed.). Dār Ibn Ḥazm.

Ibn Qayyim Al-Jawziyyah, Abū ʿAbd Allāh Muḥammad bin Abī Bakr (n.d.). *Miftāḥ Al-Saʿādah wa Manshūr Wilāyah Al-ʿAlam wa Al-Irādah*. Dār Al-Kutub Al-ʿIlmiyyah.

Al-Jazāʾirī, Abū Bakr Jābir bin Mūsā (2003). *Aysar Al-Tafāsīr li Kalām Al-ʿUlā Al-Kabīr*. Maktabah Al-ʿUlūm wa Al-Hukm.

Al-Kafawī, Abū Al-Baqāʾ Ayyūb bin Mūsā (1992). *Al-Kulliyyāt Muʿjam fī Al-Muṣṭalaḥāt wa Al-Furūq Al-Lughawiyyah* (ʿAdnān Darwīsh, Muḥammad Al-Miṣrī, Eds.). Muʾassasah Al-Risālah.

Al-Khāzin, Abū Al-Ḥasan ʿAlāʾ Al-Dīn bin Muḥammad (1994). *Lubāb Al-Taʿwīl fī Maʿānī Al-Tanzīl*. Dār Al-Kutub Al-ʿIlmiyyah.

Mabrūk, ʿUthmān Aḥmad (1992). *Tarbiyah Al-Awlād wa Al-Ābāʾ fī Al-Islām*. Dār Qutaybah.

Al-Nasafī, Abū Al-Barakāt ʿAbd Allāh bin Aḥmad (1998). *Madārik Al-Tanzīl wa Ḥaqāʾiq Al-Taʿwīl* (Yūsuf ʿAlī Badyuwī, Ed.). Dār Al-Kalim Al-Ṭayyib.

Al-Naysābūrī, Niẓām Al-Dīn Al-Ḥasan bin Muḥammad (1995). *Gharāʾib Al-Qurʾān wa Raghāʾib Al-Furqān* (Zakariyyā ʿAmīrāt, Ed.). Dār Al-Kutub Al-ʿIlmiyyah.

Al-Qurṭubī, Abū ʿAbd Allāh Muḥammad bin Aḥmad (1964). *Al-Jāmiʿ li Aḥkām Al-Qurʾān* (ʿAlī Muḥammad Al-Bajāwī, Ed.). Dār Al-Kutub Al-Miṣriyyah.

Al-Qurṭubī, Abū ʿUmar Yūsuf bin ʿAbd Allāh (1991). *Al-Istīʿāb fī Maʿrifah Al-Aṣḥāb*. Dār Al-Jīl.

Al-Qushayrī, Abū Al-Ḥusayn Muslim bin Al-Ḥajjāj (1954). *Ṣaḥīḥ Muslim*. Maṭbaʿah ʿĪsā Al-Bābī wa Shurakāʾihi.

Al-Rāzī, Abū ʿAbd Allāh Muḥammad bin ʿUmar (1999). *Al-Tafsīr Al-Kabīr aw Miftāḥ Al-Ghayb*. Dār Iḥyāʾ Al-Turāth.

Al-Saʿdī, ʿAbd Al-Raḥmān bin Nāṣir (1999). *Taysīr Al-Karīm Al-Raḥmān fī Tafsīr Kalām Al-Mannān*. Muʾassasah Al-Risālah.

Al-Samarqandī, Abū Al-Layth Nasr bin Muḥammad (1993). *Baḥr Al-ʿUlūm*. Dār al-Kutub Al-ʿIlmiyyah.

Al-Shaʿrāwī, Muḥammad Mutawallī (1997). *Tafsīr Al-Shaʿrāwī*. Maṭābiʿ Akhbār Al-Yawm.

Shalabī, Maḥmūd (1982). *Ḥayaḥ Yūsuf*. Dār Al-Jīl.

Al-Suyūṭī, Jalāl Al-Dīn ʿAbd Al-Raḥmān bin Abī Bakr (n.d.). *Al-Durr Al-Manthūr fī Tafsīr bi Al-Maʾthūr*. Dār Al-Fikr.

Al-Ṭabarī, Abū Jaʿfar Muḥammad bin Jarīr (n.d.). *Jāmiʿ Al-Bayān ʿan Taʾwīl Āyy Al-Qurʾān*. Dār Al-Tarbiyah wa Al-Turāth.

Al-Ṭaḥāwī, Abū Jaʿfar Aḥmad bin Muḥammad (1994). *Sharḥ Mushkil al-Āthār*. Muʾassasah Al-Risālah.

Ṭanṭāwī, Muḥammad Sayyid (n.d.). *Al-Tafsīr Al-Wasīṭ li al-Qurʾān Al-Karīm*. Dār Nahḍah Miṣr li Al-Ṭibāʿah wa Al-Nashr wa Al-Tawzīʿ.

Al-Tirmidhī, Abū ʿĪsā Muḥammad bin ʿĪsā (1972). *Sunan Al-Tirmidhī*. Sharikah Maktabah wa Maṭbaʿah Muṣṭafā Al-Bābī Al-Ḥalabī.

Zayʿūr, ʿAlā (1985). *Al-Tarbiyah wa ʿIlm Nafs Al-Walad fī Al-Dhāt Al-ʿArabiyyah*. Dār Al-Andalus.